ISSN: 2581-3269

ISLAMIC INSIGHT

JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES

Vol. 7 No. 1 2024

DARUL HUDA
ISLAMIC UNIVERSITY

ISLAMIC INSIGHT

EDITORIAL TEAM

Editor-in-chief

Dr. Bahauddeen Muhammed Nadwi

Vice Chancellor, Darul Huda Islamic University, *vc@dhiu.info*

Associate Editor

Dr. Suhail Hidaya al-Hudawi
Dean, Kulliyyah of Qurʾān and Sunnah, DHIU, *suhailhidaya@dhiu.in*

International Advisory Board

Dr. Abdul Kabir Hussain Solihu,
Professor, Department of Religions, History and Heritage Studies, Kwara State University
abdulkabir.solihu@kwasu.edu.ng

Dr. Abdul Sami' Mohammed Al Anees
Professor of Hadith and its Sciences, College of Sharia and Islamic Studies, University of Sharjah
dranis@sharjah.ac.ae

Dr. Anis Malik Thoha,
Rector, UNISSULA University, Jalan Raya Kaligawe, Km 4 Semarang, 50112 Jawa Tengah, Indonesia
anismalik.t@unissula.ac.id

Dr. Bilal Kuşpınar,
Professor, Department of Philosophy, Necmettin Erbakan University, SBBF, Konya, Turkey
bkuspinar@konya.edu.tr

Dr. Ebrahim Moosa
Professor of Islamic Studies, Keough School of Global Affairs, University of Notre Dame, 1010 Jenkins Nanovic Halls, Notre Dame, Indiana 46556-5677, USA
emoosa1@nd.edu

Dr. Francis Robinson
Professor, Dept. of History, Royal Holloway, University of London, Egham TW20 0EX, England
F.Robinson@rhul.ac.uk

Dr. Ibrahim Zein
Professor, College of Islamic Studies, Hamad Bin Khalifah University, Qatar Foundation, Qatar
izain@hbku.edu.qa

Dr. Israr Ahmed Khan
Professor, faculty of Islamic studies Social Sciences University of Ankara, Turkey
israr.khan@asbu.edu.tr

Dr. Mohamed El-Tahir El-Mesawi,
Professor, Dept. Of Fiqh and Usul al-Fiqh, International Islamic University Malaysia, Kuala Lumpur, Malaysia
mmesawi@iium.edu.my

Dr. Osman Bakar,
Rector, International Islamic University Malaysia
Kuala Lampur
osmanbakar@iium.edu.my

Dr. Stephen F. Dale
Professor, Dept. of History, Ohio State University, 106 Dulles Hall, 230 Annie & John Glenn Avenue, Columbus OH, 43210-1367, USA
dale.1@osu.edu

Dr. Wael B. Hallaq
Professor in the Humanities, Columbia University, 401 Knox Hall, MC9628 606 West 122nd St, New York, NY 10027, USA
wh2223@columbia.edu

Editorial Board

Dr. Jafar Paramboor, Asst. Professor, Kulliyah of Education, International Islamic University Malaysia
pjafar@iium.edu.my

Dr. Salahudheen Kozhithodi, Asst. Professor, Department of Hadith and Related Sciences, Darul Huda Islamic University
salahudheenk@dhiu.in

AP Musthafa Hudawi, Asst. Professor, Department of Qurʾān and Related Sciences, Darul Huda Islamic University
apmmusthafa@gmail.com

Language Editors:

Mohammed Ansuf AH, Department of Qurʾān and Related Sciences, Darul Huda Islamic University
muhammedansuf@gmail.com

Mohammed Shanid, Department of Hadith and Related Sciences, Darul Huda Islamic University
shanidakntm@gmail.com

Book Review Editor:
Muhammed Unais Kunnakkaden, HoD, Department of Hadith and Related Sciences, Darul Huda Islamic University
unaishidaya@dhiu.in

Layout: Muhammed Arif U

Scope and focus of *Islamic Insight*

Islamic Insight Journal of Islamic Studies (*IIJIS*) is an academic journal published twice a year by the Kulliyya of Qurʾān and Sunnah, Darul Huda Islamic University, Kerala, India. It is a multi-disciplinary journal devoted for publishing original scholarship of exceptional quality on all aspects of Islam and the Muslim world. It covers, for example but not limited to, textual and field work studies on various aspects of the Noble *Qurʾān*, *Hadith*, Islamic Jurisprudence, Islamic Theology, Islamic Mysticism, Philosophy, Comparative Religion, Islamic Social Sciences, History and Culture of Muslims. The papers will be sent for a double blind peer review and will be published accordingly.

MAILING ADDRESS

Editor, Islamic Insight Journal of Islamic Studies,
Kulliyyah of Qur'an and Sunnah,
Darul Huda Islamic University, Chemmad, Kerala, India, 676306
Email: islamicinsight@dhiu.in
Website: www.islamicinsight.in

Annual subscription fee Rs. 700/-

Islamic Insight Vol. 7, No. 1 (2024) (92 – 116)
ISSN: 2581-3269

البدِيعيات وتأثيرها في شيوع البلاغة وتبسيطها للعامّة

محمد شرف الدين[117] و د/ جابر كي تي[118]

ملخص البحث

تسلّط هذه الدراسة الضوءَ على البديعيات باعتبارها وسيلةً شعريّة جميلة وفعّالة في تعليم البلاغة وتبسيطها للجمهور، فقد استطاعت هذه المنظومات أن تنقُل البلاغة من الكتب إلى الحياة، فصارت تُتداوَل وتُنشد، وتُغنّى أحيانًا، وقد ساعد في ترسيخ مفاهيمها في أذهان الناس بطريقة محبّبة وسهلة، وهكذا أصبحت البديعيات جسرًا بين الفنّ والعلم، وبين البلاغة والنفوس، حيث جمعت بين التعليم والتذوّق معًا، وتسعى الدراسة إلى بيانِ كيفية إتيانِ البديعيات من البلاغة بعلمٍ قابلٍ للفهم عوامّ الناس، لا محتكرًا للعلماء والمتخصّصين، فهي تقدّم البلاغةَ في صورة تطبيقية محسوسة، وتُعيد إحياءها شعريًّا بأسلوب يجمع بين المتعة والمعرفة، وتوضح الدراسة كيف أثّرت هذه القصائد في انتشار البلاغة وتيسير فهمها للناس عبر الأجيال.

الكلمات المفتاحية: البديعيات، البلاغة، القصيدة، ابن المعتز، صفيُّ الدين الحِلّي.

---

[117] باحث الدكتوراه في قسم البحوث والدراسات العربية, كلّية تونجان الحكومية بترور، تحت جامعة كاليكوت sharafumaba@gmail.com

[118] مشرف البحث والأستاذ المشارك في قسم البحوث والدراسات العربية, كلّية تونجان الحكومية بترور، تحت جامعة كاليكوت, drjabirkt@gmail.com

البدِيعيات وتأثيرها في شيوع البلاغة وتبسيطها للعامّة

البديعيات هي قصائد نظمت في مدح النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، نظمها بعض الشعراء بأسلوب خاصّ يقوم على استخدام جميع أنواع المحسِّنات البديعية، اللفظيةِ منها والمعنوية في أبياتها، بحيث يُذكر نوع بديعي في كل بيت غالبًا، فلا بدّ في قصائد البديعيات أن يتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعًا من أنواع البديع، ويكونَ هذا البيت شاهدًا عليه.

عرّفه الدكتور علي أبو زيد بأنّه "قصيدة طويلة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، على بحر البسيط وروِيّ الميم المكسورة، يتضمّن كلّ بيتٍ من أبياتها نوعا من أنواع البديع، يكون هذا البيتُ شاهدا عليه، ورُبّما وزّيَ باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد"[119].

فالقصائد في فنّ البديعيات لا بدّ أن تكون على أسسها وشروطها ومقوماتها المشهورة،"وهي: أن تكون القصيدة طويلة، يزيد عدد الأبيات فيها على الخمسين، وقيل: لا تقل عن مئة بيت، وأن يكون موضوعُها الأساسي هو المدح، بل مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأن تكون منظومةً على بحرِ البسيط، وروِيّ الميم المكسورة، وأن يتضمن كلّ بيت من أبياتها لوناً بديعياً على الأقل، بشكل صريح أو غير صريح، وأن يكون البيت شاهداً عليه، وكل قصيدة تخلو من أحد هذه الشروط تخرج من سلك البديعيات"[120].

وكان أوّل من نظمها من الشعراء صفيُّ الدين الحِلّي المتوفى سنة 749هـ، بقصيدته المشهورة بـ'الكافية البديعية في المدائح النبوية'، التي تُعدّ أوّل قصيدةٍ بديعية، ونُظِمت على بحر البسيط وروِيّ الميم المكسورة، كما نظم الإمام محمد

---

[119] البديعيات في الأدب العربي، الدكتور علي أبو زيد، ص 46.

[120] خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجّة الحموي، مقدمة تحقيق الدكتور كوكب دياب، ص 162.

بن سعيد البوصيري قصيدتَه المشهورة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقد بيّن الحِلّي نفسُه عن كتابة هذه القصيدة في مقدّمة شرحه قائلا: "جمعتُ ما وجدتُ في كتب العلماء وأضفتُ إليه أنواعا استخرجتها من أشعار القدماء، وعزمتُ أن أؤلّف كتابا يُحيط بجُلِّها إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلِّها، فعرضت لي علّةٌ طالت مدّتها وامتدّت شِدّتها، واتّفق لي أن رأيت في المنام رسالةً من النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام يتقاضاني المدح، ويعِدُني البُرءَ من السّقام، فعَدلتُ عن تأليف الكتابِ إلى نظم قصيدة، تجمع أشتات البديع، وتطرز بمدح مجده الرفيع، فنظمت مائة وخمسة وأربعين بيتا في بحر البسيط، تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعا من محاسنه...، وجعلتُ كلّ بيت مثالا شاهدا لذلك النوع، ورُبما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم، والمعتمد منها على ما أسس البيت عليه".[121]

فقد نشأت البديعيات من فكرة بلاغية خالصةٍ تكوّنت في ذهن مُبدعِها الأول، وهو صفي الدين الحِلّي، الذي كان على درايةٍ عميقة بأسرار البلاغة وفنونها المتنوّعة، فاستثمر تلك المعرفة ليقدّم هذا اللون الأدبي الجديد بأسلوب مبتكر وغير تقليدي، ولم يكن هدفه مجردَ النظم أو إظهار المهارة في الوزنِ والقافية، بل كان يسعى إلى غاية أسمى، وهي مزج البلاغة النظرية بالتطبيق الشعري، في إطارٍ ديني رفيع هو مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد كانت البديعية مشروعًا فنّيًا واعيًا، تضمّن توظيفَ جميع فنون البديع المتاحة في ذلك الحين، مع اجتهاده إلى إمكان استحداثِ غيرها، من خلال نظم قصيدة يُراعى فيها الترتيب الفنّي للأنواع البديعية، وقد أشار كثير من شعراء البديعيات إلى كل نوع بالاسم أو بالوصف، ليكون القارئ أو الشارح على بيّنة من

[121] شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحِلّي، ص 54.

موضع ذلك الفنّ في السياق. وهذا وحده يُعدّ ابتكارًا في شكل القصيدة ومضمونها، لأن القصيدةَ لم تكن حينَها تُوظّف على هذا النحو التعليمي المنظّم، وإنما كانت تُعبّر في الغالب عن وجدانِيّات الشاعر أو أغراضه التقليدية، كالفخر والغزل والرثاء والهجاء وغيرها.

لكن الحِلّي تجاوز هذه الأغراض، وابتدع فنًّا يُعلّم ويُمتع، وجمَع بين الجمال والصنعة، وخاطَب المتذوّقين والدارسين في آن واحد، وكان لا بدّ لهذا اللون الجديدِ أن يُلفِت الأنظار، وأن يُشغل المهتمين بالبلاغة والشعر والدين، حتى أصبحت البديعيات فيما بعدُ من الأعمال التي تُتنافس في نظمها وشرحها وتداولها، مما ساعد على ترسيخ مكانتها في الأدب العربي، وأكسبها طابعًا خاصّا ميزها عن غيرها من الأنماط الشعرية.

ولم تكن قصائد البديعية مجرّد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، بل صارت أيضا مرآة فنّية لعلم البديع، ومحطًّا يجتمع فيه الإبداع الشعري مع التعليم البلاغي، وهذا هو الذي جعلها تستحقّ أن تُعدّ من أبرز المحطّات في تطوّر البلاغة العربية وتداخلها مع الأدب.

لقد بدأ هذا الفن كفكرة بلاغية محضة، لا يهدف إلى التجميل الصوتي فحسب، بل كان يطمح إلى تحقيق تأثير عميق على المتلقي من خلال محاكاة الجمال اللغوي والتعبير الفني، لكن مع مرور الزمن،أخذت هذه الفكرة شكلاً أكثر تحديدًا حين صاغها صفي الدين الحِلّي في قالب شعري مبتكر، يجمع بين الإبداع اللغوي والبلاغي من جهة، وبين الهدفِ الديني السامي من جهة أخرى، ليتضمّن في طيّاته مدح النبي صلى الله عليه وسلم، بأسلوب يجمع بين الإخلاصِ في المضمون، والإتقان في الصياغة، فقد استطاع صفي الدين الحِلّي أن يكسو معاني المديح بِرداء البديع، فجاءت قصيدته تحمل كل معالم المحبة النبوية،

مزينة بأبهى فنونِ البلاغة، في تناغم فنّي رفيع يربط الجمال البياني بالإحساس الروحي، ويخاطب الذوق والعقل والقلب في آنٍ معًا.

وقد كانت هذه البديعيات بمثابة تجسيدٍ لعلاقة قويّةٍ بين البلاغة والفنّ الشعري، حيث سعت إلى جمع عناصر الجمال اللفظي والتأثير العقلي والعاطفي في قصائدَ ذات مضمون دينيّ، ومن خلال هذه البديعيات تمكّن الشعراء من استخدام أساليب بلاغية فريدة، معتمدين على الأنواع المختلفة من البديع في تحسين النصوص الشعرية وتزيينها بالصور الأدبية، وعليه فقد ظهرت هذه البديعيات للناس بشكل مميّز، ليس بسبب إبداعها الفني فقط، ولكن بسببِ أنّها قدّمت أسلوبًا جديدًا في تقديم المدح النبوِي، وهو الذي جعلها تستحوذ على مكانةٍ كبيرة في الأدب العربي الإسلامي.

ولم تقتصر البديعيات على أن تكون مجرد أعمال شعرية جميلة تُطرب الآذان وتُبهج القلوب، بل تجاوزت ذلك لتغدوَ تجسيدًا حيًّا وعمليًّا لتأثير البلاغة في الأدب العربي، ومثالًا ناطقًا على قدرة الفنون البلاغية في الارتقاء بالشعر من مجرّد نظم إلى فنّ راقٍ ومؤثّر، فقد أسهمت البديعيات في إذكاء الوعي البلاغي، لدى القرّاء والمهتمّين بالأدب، وزادت من اهتمام الناس بأنواع المحسّنات البديعية، كما فتحت أمامهم آفاقًا جديدة لفهم الجمال الأدبي من خلال قالَب شعريّ ديني يربط التعبير الفنّي بمقاصدَ روحية سامية، وبذلك ساهَمت في نشرِ البلاغة وتعميمِها، وجعلَها حاضرة في أذهان العامّة والخاصة، بأسلوب محبّب ومضمون نبيل.

فاستمرار تطوّر هذا الفنّ عبرَ القرون لَيدلُّ دلالة واضحة على مكانته الراسخة في البلاغة العربية، لا سيما في مجال علم البديع، الذي وُلدت البديعيات في كنفه ونشأت على أُسُسه، ورغم أن البديعيات قد ازدادت بمرور الزمن زخرفةً

وتأنّقًا في الأسلوب، وازدانت بصور الأدب وتجلّيات النقد البلاغي، لا سيّما في الشروح التي وُضعت على قصائد البديعيات، فإن ذلك كلّه لا ينبغي أن يُنسينا أصلها البلاغيّ المتين، ولا أن يحجُب عنّا علاقتها العميقة والواضحة بعلم البلاغة العربية، حيث كانت وما تزال أحد أوجه تطبيقه الشعرية المتميّزة، وأداة من أدوات نشره وتعليمه في ثوب جماليّ جذّاب.

تنبع أهمّية البديعيات في البلاغة العربية من أثرها المتعدّد الجوانب، ومن أهمّها ما يلي:

1. نشر مفاهيم البلاغة وتعريف العامة بها من خلال الشعر

لقد أثارت كثرة استخدام الشعراء للمحسّنات البديعية منذ بدايات العصر العباسي جدلًا واسعًا في الأوساط الأدبية والنقدية، فانقسم الناس في هذا إلى فريقين: فريقٌ رأى فيها تجميلًا للعبارة وتأنّقًا في التعبير، يظهر مهارة الشاعر وبلاغته، ويُضيف إلى المعاني طابَعًا فنّيًا يُمتع السامعَ ويُثير الإعجاب، وكان هناك فريقٌ آخرُ عدّها نوعًا من التكلّف والتصنّع، الذي يُضعِف صدقَ الشعور، ويُثقل النص بما لا طائل تحته.

ومن بين هذا الخلاف برز بعضُ الأدباء والعلماء للدفاع عن هذه الظاهرة البلاغيّة، وأهمّهم ابنُ المعتز، الذي يُعدّ من أوائل مَن بادر إلى تدوين هذه المحسّنات وتقديمها في صورة علمية مدروسة، وذلك من خلال كتابه الشهير البديع، الذي ضمّ فيه أنواعًا من الزخرُفة اللفظية والمعنوية، مدعومة بالأمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فضلًا عن اقتباسه من أشعار القدماء الذين لم يكن يُظن بهم التكلّف أو المبالغة.

وقد جاءت هذه المبادرة من ابن المعتز لا لمجرد التصنيف، بل للدفاع عن مشروعية استخدام البديع، وتأكيد أنه لم يأتِ به المتأخرون من محض الخيال أو العبث، بل له جذور ضاربة في البيان العربي الأصيل، وأن كثيرًا من صُورِه وأساليبه مستمدةٌ من أرقى مصادر البلاغة، وهو النص القرآني الكريم، ومن أجل هذا التأليف قد ساعد هذا الاتجاهُ في تقبّل المحسّنات البديعية بوصفها جزءًا مشروعًا من جماليات التعبير العربي، وساهم في توطيد أركان علم البديع بوصفه فرعًا بلاغيًا له مكانتُه وأصولُه العلمية.

رغم استمرار التأليف في البلاغة وتطوّرِ مباحثها على أيدي العلماء والأدباء حتى عصر صفيّ الدين الحِلّي، فإن هذا الفن لم يتحوّل إلى ثقافةٍ جمهوريةٍ تتلقّى إقبالًا واسعًا من مختلَف فئات المجتمع، بل ظلّ الحب في أغلفة الكتب المؤلَّفة، مقصورًا على فئةٍ من المتخصِّصين والمهتمّين، سواء من العلماء أو طلاّب العلم، فيما بقي بعيدًا عن عامّة الناس، بل وحتى عن معظم الخاصة الذين لم يكن لهم ميلٌ مباشر إلى الدراسات اللغوية والأدبية.

فلم يكن الناس يتقرّبون من علم البلاغة إلا في فتَرات متقطعة، إمّا بدافع الحاجة الأكاديمية، أو بدافع دينيّ عند الحاجة إلى فهم دقائق القرآن والحديث، أو بدافع فنّي حين يُقبل بعض الشعراء على تحسين أساليبهم، ومع ذلك فإن هذا الاقتراب كان سطحيًا في كثير من الأحيان، لا يتجاوز ما تقتضيه الضرورة، ثم سرعان ما يعود إلى التراجع، لعدم وجود دافع وجداني أو فني يشدّ المتلقّي نحو هذا العلم.

وهكذا بقيت البلاغة في موقع المتفرّج إلى حدٍّ ما، تنمو في صفحات الكتب والشروح، دون أن تمتد جذورها إلى وِجدان الجمهور، إلى أن جاءت البديعيات، فكانت بمثابة الجِسر الذي وَصل هذا العلم إلى الجمهور، وأدخل مفاهيمه في

قوالب محبّبة ومقبولة شعبيّا، وبهذا الفنّ الجديد فُتح أمام البلاغة نافذةٌ جديدة على الحياة الثقافية والاجتماعية.

ولم تكن البلاغة غريبةً عن الناس أو بعيدةً عن ألسنتهم وذوقهم في أيّ عصر، فهم قد أَلِفوا الفصاحة بالسليقَة، وتذوّقوا البيانَ بطبعهم، كما اعتادوا النحو ومقاييسَه في حديثهم وخطابهم، فالعرب الأوائلُ خاصة في الجاهلية وصدر الإسلام، لم يكونوا بحاجة إلى دراسة البلاغة في كتب أو التدرّبِ عليها في مدارس، لأنهم نشؤوا في بيئة لغوية سليمة، وتشرّبوا جمال الأساليب ومرونة التعبير من واقعهم اللغوي الحيّ.

وإن المشكلة بدأت حينما قُدِّمت البلاغةُ في العصور اللاحقة على هيئةِ قواعدَ جامِدَة مؤلّفة في كتب مستقلّة، وأُلبست ثوبًا من التعقيد والاصطلاحات، وأُحكمت بقيودِ المنطق والفلسفة، حتى صارت أقربَ إلى علمٍ نظريّ صعب الوصول، بعيدٍ عن الذوق العامة، يُطلع طالبَه على كثير من المصطلحات والتقسيمات، ويميت فيه روحَ التذوق الفطريّ التي كانت تحرّكه من قبل.

وهذا الأسلوب المصطنع المستحدث في عرض البلاغة، وما تبعه من تعقيد، أثار اعتراضَ كثير من الأدباء والنقّاد، الذين دعوا إلى إعادة البلاغة إلى أصولها الفنّية، والابتعادِ بها عن التجريدِ العقلي والتكلّف المصطلحي، حتى لا تنفِر النفوس منها. ولهذا كان ظهور قصائد البديعيات في ثوبها الشعري، وبأسلوبها الجمالي، ردًّا عِمليًّا على هذا التوجّه المتكلّف، ومحاولةً ناجحة لإعادة البلاغة إلى جمهور الناس عَبر قوالبَ محبّبة، تُزاوج بين المتعة والفائدة، وبين التلقين والتذوق.

ولم توجد أيّةُ فرقٍ بين قبول العرب لقواعد البلاغة وتعاملِهم معها وبين ما سبَق مع قواعد النحو وقبولهم لها، بل لعلّه يكشف جانبا مهمًّا من طبيعة تلقّي الناس للعلوم اللغوية في مراحلها المختلفة. فكما أن الناس لم يُقبِلوا على النحو وقواعدها إلا بعد أن تلبّس بالقياس والاصطلاح، وتحوّل من فطرةٍ إلى علمٍ قائمٍ على التعليل، فكذلك البلاغة التي كانت حاضرةً في وجدان العربي بالفطرة، لكنّها حين صيغت في قوالب منهجية صارمة، وارتبطت بمباحث المنطق والكلام، أصبحت علمًا لا يكاد يتقنُه إلا المتخصصون. وهذا ما جعلها بعيدة عن التداول الشعبي، برغم الجهود الكبيرة التي بذلها البلاغيون في تصنيف الكتب وتبسيط المفاهيم، وتقديم الأمثلة والشواهد.

وتجلّت عبقرية هذا الأسلوب في قدرته على تقريب المفاهيم البلاغية الجافّة إلى أذهان المتلقّين، عَبر قوالبَ فنية محبَّبة، تُلهب العاطفة وتلامس الوجدان. فالبديعيات لم تكن مجرّدَ قصائدَ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت دروسًا بلاغية متقَنة، تُدرِّب الذوق وتغذّي الحسّ الجمالي، وتُرسّخ فنون البديع في القلوب قبل العقول. صاغها صفي الدين الحِلّي أوّلًا، ثم تبعه الشعراء، ووجد فيها الشراح مادّة خِصبة للشرح والبيان، فأقبلوا عليها وأسرفوا أحيانًا في الشرح، حتى أصبحت البديعية الواحدة تُشرَح بشرحٍ مطوّل يتجاوزها حجمًا ومضمونًا، وفي ذلك ما يدلّ على شدّة التفاعل معها، ووعيِهم بأنها صارت جسراً بين الناس وعلم البلاغة، ومدخلًا إلى التذوّق الأدبي والفنّي، دون حاجة إلى تعقيد الفلسفة أو مصطلحات المنطق.

وبذلك تكون البديعيات قد ساهمت بفعاليةٍ في تعميم البلاغة بين الخاصّة والعامة، في ثوب شعري يليق بمقام الممدوح، ويليق في ذات الوقت بمستوى المتلقّي، أكان أديبًا أم متلقّيًا بسيطًا يحبّ النبي ويطربُ للشعر، وهذا القول يستند إلى شواهد واقعية وتجليات واضحة في تاريخ الأدب العربي. فالبديعيّات لم تقتصر

على الأداء الجمالي ولا على الإبداع الفنّي فحسب، بل أدّت دورًا مركّبًا: دورًا معرفيًّا يرسّخ مفاهيم البلاغة، ودورًا شعبيًّا يُحبّب هذه المفاهيم للناس عَبر وسيلة مألوفة ومحبّبة التي هي الشعر.

لقد امتزج في البديعيات صوتُ البلاغة بعاطفة المديح النبوي، وساعد تصنّع المحسّنات اللفظية والمعنوية مع عذوبة الأوزان والقوافي، فخرج لنا هذا النمط الأدبي المؤثِّر، الذي قرّب علم البديع من النفوس، وأزال عنه ما لحق به من جمود وتكلّف في بعض مراحل تطوّره.

ويمكن القول إن هذه النقلة التي أحدثتها البديعيات جعلت علم البديع، ولأول مرة في تاريخ البلاغة، علمًا متداولًا في المجالس، محفوظًا في الصدور، مردّدًا بالألسن، يتعلّمه الدارسون الصغار، ويطرب له الكبار، حتى صار أقرب فروع البلاغة إلى الحياة اليومية والوجدان القومي.

ومن الملاحظة الدقيقة العميقة أنّ فن البديعيات جاء بتحدٍّ مزدوج: التحدي الفنّي والتحدّي البلاغي. ففي الوقت الذي كان فيه الشعراء يكتفون ببعض المحسّنات في مواضع محدّدة من قصائدهم، جاءت البديعيات لتُحمّل كلّ بيتٍ بمحسّنٍ بديعي، وكأنّ الشاعر في سِباقٍ مع نفسه ومع غيره لإظهار مقدُرته البلاغية في كل شطر.

وقد كان هذا الامتحان حقًّا صعبًا، إذ تطلّب من الشاعر أن يحافظ على جمال المعنى وسلامة التركيب، مع الالتزام بإقحام نوعٍ بديعي معيّن في كل بيت، دون أن يختلّ النظم أو يضعف الإحساس الشعري. فكان عليه أن يوازن بين جمال الفكرة وصرامة الصنعة، وبين الإبداع والالتزام.

ولولا أن هذا الفنّ ارتبط بمدح النبي صلّى الله عليه وسلّم، وبهَيبةِ المقام وجلاله، ولولا أنّ الناس أقبلوا عليه برغبة روحية وفنّية، لما استمرّ وانتشر، ولا تجرّأ

الشعراء على خوض مياهه، وخاصة في ظل ذوقٍ عربيٍ أصيل كان يفرّ من التكلّف ويزهد في التعقيد، لكن البديعيات استطاعت أن تجمع بين قَداسة الغاية وجمال الوسيلة، فكانت بحقّ امتحانًا صعبًا نجحت فيه البلاغة ونجح فيه الشعراء، ونجح فيه الجمهور من القوم أيضًا، حين قبله وأقبل عليه.

وقد جاءت هذه النتيجة بمثابةِ تتويجٍ طبيعيٍ لذلك الجَهد البلاغي والفنّي المبذول. فقد كان من اللافتِ أنّ البديعيات استطاعت أن تكسر الحاجز التقليدي بين البلاغة والنفوس، فجاء الترحيب من الناس دليلًا على أنّ البلاغة حين تتجسّد في قالبٍ فنّي جاذب وسياق وجداني رفيع، يمكنُ أن تكون مألوفةً محبوبة، لا مطرودةً مرفوضة.

فالشعراء وجدوا في هذا اللون الشعري ميدانًا لإظهار براعتهم، والتفاخُر بقدرتهم على تنويع الصورِ البديعية دون إخلالٍ بالمضمون أو ضُعف في الأداء، وبه أُطلِقت شرارةُ تنافسٍ شعريٍ إبداعي.

أما الشراح، فقد وجدوا فيها مادّة خِصبة للتحليل البلاغي والدراسة التعليمية، فأقبلوا عليها بالشرح والتفسير، وغاصوا في أعماقها، يستخرجون منها دُرر البلاغة ويوضّحونها للمتعلمين.

والأهم من ذلك، أنّ العامة الذين طالما كانت البلاغة مغلقة في وجوههم، أصبحوا يتذوقون هذا الفن، يحفظونه ويرددونه في مجالس الذكر والمدائح النبوية، دون أن يشعروا بأنهم في مدرسة تعليمية جامدة، بل في واحة من الجمال الفني والروحي. وهكذا تحقّق ما لم تستطعه كتبُ البلاغة النظرية القديمة من شيوع البلاغة وإنشاء محبّة الناس لها واندماجها في وجدان الأمة.

ولقد شكّل فنّ البديعيات ظاهرةً أدبية وثقافية فريدة في التراث العربي، إذ لم يكن هذا الفنّ مجرّد لونٍ من ألوان الشعر فحسبُ، بل تحوّل إلى تقليد أدبي، له قواعدُه ومكانتُه تتناقله الأجيال.

فالقبول الواسع الذي لاقته البديعيات لم يكن وليدَ الصدفة، بل نتيجةَ توازنٍ دقيقٍ بين العمق البلاغي والبساطة الشعرية، وبين المدح النبوي والإبداعات الفنية، وقد وجد فيها الشعراء مجالًا رحبًا لاستعراض قدرتهم البلاغية وتفوّقهم الفني، فصار نظم البديعية نوعًا من التحدي الشعري، ووسيلة لإثبات التمكّن من أدوات البيان العربي، بل أصبح في كثير من الأحيان بمثابة بطاقة تعريفٍ للشاعر ومكانته بين أقرانه.

ومع توالي القرون وازديادِ الشروحات عليها، لم تخبُ جذوةُ هذا الفنّ، بل ازدادت توهجًا، حيث احتضنته المدارس، وشرَحه العلماء، وتداولته المجتمعات من المغرب إلى المشرق، وعُدّ فنّ البديعيات واحدًا من أطول الظواهر الأدبية عمرًا وأكثرها رسوخًا في الذاكرة الثقافية العربية.

ولعلّ هذا يبيّن كيفية تطور البديعية من مجرّد قصيدة، إلى أن صارت مدرسة فنية وبلاغية قائمة بذاتها، أثرت البلاغة والأدب، وأوصلت علم البديع إلى عامة الناس بأسلوب محبَّب وبأسهل طرق التلقّي.

تكمن أسباب قبول الناس لفنّ البديعيات في استحسانهم له ورضاهم عمن يقدمونه. الشاعر يسعى لجذب انتباه الجمهور وإثارة مشاعرهم، ويحرص على استخدام أساليب شعرية قادرة على التأثير فيهم. كانت البديعيات الوسيلةَ المثلى التي اعتمدها الشعراء للتواصل مع جمهورهم وإيصال مشاعرهم.

فقد كان لأولي الأمر، من سلاطين وأمراء ووزراء، دورٌ بارز في دعم فنّ البديعيات وتشجيع الشعراء على نظمه، إدراكًا منهم لقوّة تأثير هذا اللون الشعري في نفوس العامّة والخاصة على حدّ سواء.

لقد أدركوا أن البديعيات، بما تحمله من مدح للنبي صلى الله عليه وسلم، ومظاهرِ الجمال البياني، وروحانيةِ التعبير، تُلامس مشاعر الناس وتستميل قلوبَهم، يجعل ارتباط اسمهم بها مدعاة للقَبول بين العوام ووسيلة لتعزيزِ مكانتهم الاجتماعية والسياسية.

فعندما يطلب الأمير أو السلطان من شاعر متمكّن أن ينظم بديعية باسمه أو في مجلسه، فإنّه لا يسهم بذلك في رفعة هذا الفنّ فقط، بل يربط نفسه بمشروع ثقافي وديني محبّب إلى الناس، وهذا التوجّه أسهمَ بشكلٍ كبير في رواج البديعيات، وارتفاع شأنها، وتحولها إلى فنّ راقٍ لا يقتصر على الشعراء فحسبُ، بل تتّجه إليه الأنظار من العلماء والشراح والمتعلمين، وصارت البديعية ذات قيمة مزدوجة: فنّية ودينيّة، اجتماعية وسياسية.

وبذلك يمكن القول إن احتضان أصحاب السلطة لفنّ البديعيات كان أحد العوامل المهمة في انتشارها وتعزيز تأثيرها، وترسيخ مكانتها في الثقافة العربية الإسلامية عبر العصور، ولقد تحوّلت البديعيات بالفعل إلى فنّ شعبي جماهيري، جذِب إليه فئات متعددة من الناس، من العلماء والأدباء إلى عامة المتذوقين ومحبي المدائح النبوية، وكان هذا الانتقال من النخبوية إلى الشعبية تحوّلًا جوهريًا في مسار البلاغة، خاصة في فرع البديع.

فقد جاءت البديعيات محمّلةً بفنون البديع المختلفة، لكنها لم تُقدَّم في إطار جافّ أو نظري، بل في قالب شعري ديني جذّاب يمسّ الوجدان، ويرتبطُ بسيرةِ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ويمنحها طابعًا وِجدانيًا وروحيًا بالغَ التأثير. ولهذا

صار الناس يتذوّقون المحسناتِ البديعية دون شعور بالتكلّف أو النفور، بل بحبّ وانجذاب.

وبذلك أصبحت البديعيات بوابة محبّبة لعلم البديع، وجسرًا بين الفنّ والجمهور، تُزاوج فيها الجمال اللفظي مع السموّ الروحي، فكان أثرها عميقًا وممتدًّا، يتجاوز حدود الزمان والمكان.

وهذه الملاحظة دقيقة ومهمّة، فقد ظهرت البديعيات بحقّ طبيعةَ المرحلة التي ظهرت فيها، حيث كان الذوق العام ميّالًا إلى التأنّق اللفظي والتزويق الفني، وكان ذلك سائداً في ميادين الأدب والفن والخطابة وحتى الحياة اليومية.

لكن البديعيات لم تكن مجرد استجابة لهذا الذوق العام، بل ساهمت هي الأخرى في تشكيله وتوجيهه، فحدث نوع من التأثير المتبادل بين الفن البديعي والمتلقين.

فقد استجاب الشعراء لتطلعات الجمهور وميوله، وصاغوا البديعيات بما يرضي هذا الذوق ويشبع شغفه بالجمال اللفظي، وفي الوقت نفسه بدأ الجمهور يتشكل ذوقه البلاغي ويتطور تذوّقه من خلال هذه النماذج المتقنة.

ومع أن طابع الصنعة قد يُعدّ أحيانًا مصدر ضعف في نظر بعض النقّاد، إلا أنّ البديعيات استطاعت أن توازن بين الصنعة والروح، فحافظت على جوهر الرسالة الدينية، وجمال الأسلوب، وعذوبة التناول.

ولهذا بقي لها فضل مميز في التاريخ الأدبي والبلاغي، لا سيّما في قدرتها على تقريب علم البديع من الناس، وعلى ترسيخ البلاغة في وجدان المتلقّي العربي بطريقة غير مباشرة ولكن فعّالة.وأهم سبب لنجاح البديعيات يكمن في الطريقة المتميزة التي خرجت بها، والتي اتبعت نهجًا شعريًا قويًا ومعارضةً لأشهر قصائدَ معروفة،

كانت تحرك مشاعر الناس وتلامس ضمائرهم. فقد حفظ الناس هذه القصائد وطربوا لها، وأنشدوها في حلقات الذكر. كما ساعد المديح النبويّ الذي كان شائعًا في ذلك الوقت في تعزيز قبول هذا الفنّ الأدبي، بما فيه من تأثير قويّ في الجمهور.تنافس الشعراء في إتقان نظمها وتقديم مضامينها الغزيرة.

تمكنت البديعيات من ربط جمهور الناس بفنّ البلاغة وخاصة فنّ البديع، وقد نجحت في تعميم البلاغة بين الناس، ويعتبر هذا القبول ميزةً قويّة لهذا الفنّ، ويعد دليلاً على تأثيره الكبير.

2. توطيد أسُس البديع وتوضيح مغايرته عن البيان والمعاني

تبدأ البلاغة كفكرة عامّة تؤكدها الأقوال الجاهلية وما تلاها، قبل أن تصبح مجموعة من المقاييس الفنية التي تميز النصوص الجميلة، وقد أسّس الجاحظ لهذه المفاهيم في كتاب "البيان والتبيين"، بينما تطورت لاحقًا مع ابن المعتز. وفي نهاية المطاف، أصبحت البلاغة تتضمن ثلاثة علوم ثابتة، ما يشير إلى مرحلة متقدمة من البلاغة حيث تحولت إلى قواعد صارمة وضوابط محددة.

يُعتبر ابن المعتز أول من جمع فنون البلاغة في كتاب واحد، وهو كتاب "البديع"، ورغم أن الكتاب يحمل اسم "البديع"، إلا أنّ فنّ البديع لم يكن هو المقصود الرئيس من الكتاب، وهو ما يتضح من مضمونه.

والكتب التي ظهرت بعد ذلك من التي احتوت على فنون البلاغة لم تشر إلى تقسيم البلاغة إلى العلوم الثلاثة المعروفة البيان والمعاني والبديع، بل كانت الفنون البلاغية فيها ممتزجة ومتّحدة، وظلت البلاغة على هذا النحو من الاتحاد والتماسك لفترة طويلة.

بدأت التفرقة بين فروع البلاغة بوضوح في كتاب المفتاح للسكاكي، الذي قسّم علوم البلاغة إلى علمين: المعاني والبيان، وكان أوّل من أطلق اسم علم المعاني على المباحث المتعلقة به، مستفيدًا من تعريف عبد القاهر الجرجاني للجملة والهدف منها، كما كان أوّل من أطلق اسم علم البيان على مباحث التشبيه والمجاز والكناية، رغم أن السكاكي أشار إلى أنواع من البديع، لم يسمّها بذلك، فقد اعتبرها جزءًا من تحسين الكلام، وكان بداية لاستقلال مبحث البديع عن بقية علوم البلاغة.

قدّم الخطيب القزويني في كتابه التلخيص البديعَ كقسم مستقلّ عن البيان والمعاني، كأنّه منافسةٌ في مجالات الأدب،عاملٌ معهما على تحسين العبارة وجمال التركيب، وقد عرّف الخطيب فنّ البديع على أنه علمٌ يعرف به وجوهَ تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"، وجمع سبعةً وثلاثين نوعًا من أنواع هذا الفنّ، سواء كانت لفظية أو معنوية.

وفي القرن السابع، بدأ البديع ينفصل ويستقلّ عن المعاني والبيان، ويجعله معرفة جديدة على أسماع الناس، ونظمت أولُ بديعية قد ظهرت إلى الوجود على يد الصفي الحِلّي.

كان ظهور البديعيات واحتواؤها على فنون البديع بشكل عامّ دلالة واضحة ومميّزة على تأكيد انفصال هذا الفنّ عن البيان والمعاني، كما ساهمت في نشر هذا الانفصال بين الناس من خلال انتشارها.

ومن أبرز ما أكّد هذه الظاهرة الانفصالية لفنّ البديع هو ترسيخُ قواعده وتوضيحُ أنواعه وتحديدُها من خلال الشروح التي نشأت حول البديعيات، وهذه الشروح اقتصرت على فنون البديع التي تظهر أثناء البديعية أو التي يتم التلميح

إليها، كما أشار الشراحُ أحيانًا إلى تاريخ هذا الفنّ منذ بداياته مع كتابالبديع لعبد الله بن المعتز، وصولاً إلى زمن البديعيّات، وكان ذلك من خلال المقدّمات التي قدّموها لشروحهم، مثلما فعل الصفي الحِلّي أول من نظم البديعيات، وتابعه العديدُ من الشراح.

فإذن كان ظهورُ البديعيات وانتشارها بين الناس، وتوزّعها على نطاق واسع في مختلف أنحاء الدولة العربية الإسلامية، سواء بين الخاصة أو العامة، وكذلك الشروح الكبيرة والصغيرة التي كتبت حولها، بمثابة العامل الأكبر الذي ساعد على استقلال فنّ البديع، فقد ساهمت هذه الظواهر في توضيح معالم فنّ البديع وتحديد فنونه، ونشرها بين جمهور المتعلمين، وقد ساعد في توثيق مكانة هذا الفنّ في الأدب العربي.

3. إعادة توجيه البديع نحو المدرسة الأدبية

يقول الدكتور أحمد مطلوب: "ومع أن كتب البلاغة العربية يكاد يأخذ بعضها من بعض، وتكاد مناهج بحثها تتفق إلى حد ما، نرى اتجاهين واضحين في طريقة بحثها، فمن البلاغيين من سيطرت على كتبهم النزعة الأدبية، ومنهم من سيطرت على كتبهم النزعة الفلسفية والعقلية، وكان نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيتان هما: المدرسة الأدبية، والمدرسة الكلامية، أو كما يسميهما السيوطي: طريقة العرب والبلغاء، وطريقة العجم وأهلالفلسفة، وكان لكل من هاتين المدرستين أو الطريقتين خصائصها ومميزاتها ورجالها الأعلام"[122].

لسنا هنا بصدد التطرق إلى نشأة كل من هاتين المدرستين الأدبيتين، أو ذكر أعلامها وزمنها وخصائصها، ولكن يكفي الإشارة إلى أن المدرسة الأدبية لم تولِ اهتماماً كبيراً لتحديد وتقسيم الأنواع. فلم تعتمد في دراستها على المنطق أو

[122] دراسة بلاغية ونقديّة، الدكتور أحمد مطلوب، 13ص.

الفلسفة، بل كانت تستخدم المقاييس الفنّية في تقييم الأدب، وقد تميّزت هذه المدرسة بالسهولة في التعبير، والسلاسة في التركيب، والوضوح في المعنى، مع كثرة الشواهد الشعرية والنثرية لدعم آرائها.

وأما المدرسة الكلامية، فقد تأثرت بشكل كبير بالفلسفة والمنطق، وكان اهتمامها ينصب على التحديد والتقسيم المنطقي للأنواع، واعتمدت هذه المدرسة على أسلوب المناطقة في التعبير، وسَعَت نحو التعريفات الشاملة الدقيقة، كما كانت تميل إلى تقليل استخدام الشواهد، وتجنّب البحث المكثف عن الشواهد ذات القيّمة الجمالية، بل كان يكفي أن يكون الشاهد دالاً على الفكرة المراد توضيحها، حتى وإن كان يفتقر إلى القيمة الجمالية، وترعرَعَت البلاغة العربية بين هاتين المدرستين، حيث تطوّرت وتوضّحت على صفحات كتبها حتى عصر البديعيات.

يُعتبر ابن المعتز، الذي ألّف أول كتاب عن البديع، من رُوّاد المدرسة الأدبية ومن مؤسسيها، حيث اتبع نهجها في كتابه، واستمر بعض المؤلفين في البلاغة على نفس طريقتها، إلا أنّ أثر المدرسة الأدبية بدأ يضعُف وينحسر مع بداية القرن السادس الهجري، حيث واجهت منافسة قويّة من المدرسة الكلامية، وقد تأكد تفوق المدرسة الكلامية بظهور السكاكي وكتابه المفتاح، الذي اعتمد في تأليفه على التحديد المنطقي، والاستنباط العقلي، والتعريفات الفلسفية، وهي الطريقة التي لاقت قَبولًا وانتشارًا واسعًا في تلك الفترة وما بعدها، فالسكاكي "أول الجناة المسرفين على علم البلاغة بإخضاعه للعلوم العقلية، فأضاع بهجته، وأخلق ديباجته".[123]

[123] الصبغ البديعي في اللغة العربية، الدكتور أحمد إبراهيم موسى، 253 ص.

وفي خضم التنافس بين مدرستي الأدب والمنطق، ظهرت البديعيات في شكلها الشعري، مزينة بشروحها، ومزدهرة بمضمونها، حيث تمازجت بين صفحات تلك الشروح التي استندت إلى علوم الأدب لتجني أفضل ثمارها، وتجمع أجمل زهورها، وتقطَف من ورودها ما يُفرِح النفس ويسرّ العين، بل لاحظنا أن الشراح قد أسرفوا في ذلك بشكل كبير، حتى أصبح من الصعب تحديد معالم البديعية بشكل دقيق، مما أدّى إلى إغفال الهدف الأساسي لتلك الشروح، وهو توضيح الأنواع البديعية وتحديدها داخل القصيدة.

وإنّ كثرة استخدام الشواهد، سواء كانت منظومة أو منثورة، والبحث عن كلّ ما يمكن استخلاصه من جماليات منها، هو من خصائص المدرسة الأدبية، كما أن تعريف الأنواع بأبسط العبارات وأوضح الأساليب يعدّ جزءًا من تلك المدرسة، ومن هنا يمكن القول بأن البديعيات قد نقلت فنّ البديع إلى عالَم الأدب، وأدخلته في حضن المدرسة الأدبية، مخلصة إياه من قيود الفلسفة والمنطق والأحكام العقلية الجافّة التي هيمنت على البلاغة بشكل عام لعقود طويلة.

وإن شروح البديعيات، وخاصة المطولة منها، مليئةٌ بالشواهد والأمثلة التي تدعم هذا الرأي وتثبته بطرق مؤكدة، ويجعل هذا الرأي مدعومًا بحقائق واضحة ومثبتة.

4. ابتكار فنون بديعية مستحدثة

لقد أتاح ابن المعتز الفرصةَ لاكتشاف أنواع جديدة من البلاغة واستنباطها مع مرور الزمن، حينما فتح هذا الباب وأشار إليه، ودفع الآخرين إلى التوسع في هذا المجال. يقول في كتابه: "ونحن الآن تذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها

عن علمه وذكره، وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختباراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا، فله اختياره"[124].

فقد حدث هذا التوسع، حيث لم يقتصر أحدٌ على الأنواع التي ذكرها ابن المعتز في كتابه، بل بدأ العلماء في البحث عن أنواع جديدة من البلاغة، مستمرّين في استنباطها وتسجيلها، سعيا وراءَ التفوّق في هذا المجال. ومن جهته، بدأ الصفي الحِلّي شرح بديعيته بمقدمة تناول فيها نشأة علم البديع، مع ذكر كل من أضاف إليه جديدا على مر العصور. وبعد أن نقل ما ذكره ابن المعتز، أشار إلى تطور فنون البديع وتوسّعها مع مرور الوقت.فقال الحِلّي: "وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعًا، وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب، فجمع منها عشرين نوعًا، توارد معه على سبعة،وسلم له ثلاثة عشر، فتكامل لهما ثلاثون نوعًا.

ثم اقتدى بهما الناس في التأليف، فكان غاية ما جمع منها أبو هلال العسكري سبعة وثلاثين نوعاً، ثم جمع منها ابن رشيق القيرواني مثلها، وأضاف إليها خمسة وستين باباً في فضائل الشعر وصفاته وأعراضه وعيوبه وسرقاته مما لا تعلق له بالبديع من أنساب الشعراء وأحوالهم، وتلاهما شرف الدين التيفاشي فبلغ بها السبعين ثم تصدى لها الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع فأوصلها إلى التسعين، وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين سلم له منها عشرون، وباقيها مسبوق إليه أو متداخل عليه، وكتابه المسمى و بالتحرير) أصح كتاب صنف في

[124] البديع، عبد الله بن المعتزّ، ص- 58.

هذا العلم، لأنه لم يتكل على النقل دون النقد . وليس من الباقين إلا من غير بعض القواعد، وبدل أكثر الأسماء والشواهد"[125].

فمن خلال هذه المقدمة التي قدّم بها الصفي الحِلّي لبديعيته، يتضح لنا أن باب الاستنباط في فنّ البديع كان مفتوحًا على مصراعيه، وأن العلماء لم يغفلوا عن متابعة هذا الباب، بل كانوا يرصدون كل إضافة جديدة، ويحرصون على توثيقها، منسوبةً إلى من أبدعها، في حركة علمية نشطة تدل على حيوية هذا الفنّ وتجدّده المستمر عبر العصور.

وقد كان هذا دأب أصحاب البديعيات كذلك، فهي الميدان الذي كانوا يقصدونه ويتنافسون فيه، مستثمرين ما في البديع من فسحة للاستنباط والتجديد. ومع ذلك، فإن رائد هذا الفنّ الصفي الحِلّي، قد آثر التحفظ في إظهار أيّ نوع جديد استنبطه ضمن بديعيته، خشيةً من ألسنة الحاسدين وأقلام المتعقبين، وقد صرّح بذلك صراحةً حين تحدث عن مضمون بديعيته، مما يدل على حساسية الموقف الأدبي آنذاك، وحرص الشاعر على تجنب مواضع التهمة أو الريبة، فيقول: "ثم أخليتها من الأنواع التي اخترعتها، واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها، لأسلم من شقاق جاهل حاسد أو عالم معاند، فمن شاقق راجعته إلى النقل، ومن وافق وكلته إلى شاهد العقل"[126].

ومع مرور الزمن، خرج من سار على نهج الصفي الحِلّي عن تحفظه، فلم يلتزموا بما التزم به من التوقف عن التصريح بالأنواع المستنبطة، بل جعلوا مصراعي بابَ الاستخراج مفتوحين، فتجرّأ فيه القويّ والضعيف، والخبير والمبتدئ، وكل من ظنّ أنه أتى بجديد، سارع إلى تدوينه وعدّه من فنون البديع.

---

[125] شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحِلّي، ص- 53.

[126] النتائج الإلهية في في شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحِلّي،ص52 .

وهكذا كثر المدّعون وازدحمت الساحة، بأنواع لا يُدرى أتعدّ تلك من البديع أم لا، فغلبت الكثرة على الجودة، وامتلأت المصنفات بأنواع يغلب عليها التكلف، وتفتقِر إلى المعايير الفنّية الدقيقة. حتى غدا المشهد كما قالوا: "زاحم البغاثُ النسورَ الشواهين"، في إشارة إلى من لا طاقة له بالإبداع الأصيل، وقد دخل هذا المضمار بلا عدّة ولا بصيرة، وشوّش على جمال هذا الفنّ، وألقى بظلال من الغموض على ملامحه الأصيلة.

الخلاصة

إنّ فنّ البديعيات لها تأثيرٌ بليغٌ في البلاغة العربيّة، وذلك من زاويتين متكاملتين: الأولى تتعلّق بوظيفة هذا الفنّ في تسهيل المفاهيم البلاغيّة وتقريبها إلى الأذهان، من خلال نظمها في قوالب شعريّة تُحبّب المتعلّمين في العلم، وتيسّر حفظَه واستيعابه، والثانية تنظر إلى البديعيّات بوصفها وسيلة جماليّة وتربويّة ساهمت في نشر البلاغة، وقرّبتها إلى عموم القرّاء والطلبة بأسلوب فنّيّ يجمع بين المتعة والفائدة، ويُبرز الجانبَ العمليّ التطبيقيّ للمفاهيم البلاغيّة.

وقد وقفت الدراسة على جملة من الأدوار التأثيرية للبديعيات، مثل تقديم البلاغة بصيغة منظومة سهلة التداول، والمساهمة في حفظ المصطلحات وتطبيقاتها، وإحياء الصلة بين البلاغة والذوق العام، وإنشاء تنافس إبداعيٍّ بين الشعراء والدارسين في توظيف المحسّنات البديعية، وقد خَلُص البحث إلى أنّ فنّ البديعيّات ليس مجرّدَ عملٍ أدبيّ، بل هو رافد من روافد البلاغة التعليمية، ومكوّن حيّ في مسار تطوّرها وانتشارها في الثقافة العربية.

المصادر والمراجع

أبي الفتح إسماعيل بن مصطفى ،شيخ زاده الكلنبوي، شرح إيساغوجي في المنطق ويليه حاشية قليوبي على المطلع شرح إيساغوجي،دار الكتب العلمية، 2017.

أحمد مطلوب، دراسة بلاغية ونقدية، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1978.

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني ، النابلسي، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار صلى الله عليه وسلم شرح البديعة المزْرِية بالعقود الجوهرية، دار الكتب العلمية، 2022.

علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي: نشأتها، تطورها، أثرها، 1983.

بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع، 1979.

بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، 1998.

بي مرزوق الحفيد، (دون تاريخ)، إظهار صدق المودة في شرح البردة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، دار الكتب العلمية،2010.

محمد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 2016.

قدامة بن جعفر، نقد الشعر، كلمة دائرة الثقافة والسياحة ، أبوظبي، مركز أبوظبي للغة العربية، إصدارات، 2014.

قاسم بن محمد الحلبي، حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع، 1749.

رعيني، أحمد بن يوسف، كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة، 1990.

سعد الدين مسعود بن عمر، التفتازاني، مختصر المعاني في البلاغة، دار الكتب العلمية.

صفي الدين الحِلّي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، 1982.

شهاب الدين محمود بن سلمان، ابن فهد الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، دار الكتب العلمية، 2022.

ياسين جاسم المحيمد، البردة (شرحًا وإعرابًا وبلاغة) لطلاب المعاهد والجامعات، 2005.

زنجاني، عبد الوهاب بن إبراهيم،معيار النظّار في علوم الأشعار، 1995.

ابن حجة الحموي / تقي الدين أبي بكر، خزانة الأدب وغاية الأرب الموسومة (تقديم أبي بكر) وهو شرح للبديعية في مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) 1-2 ص ج2. دار الكتب العلمية، 2008.

ابن معصوم الحسني، أنوار الربيع في أنواع البديع، رفوف، 1903 .

ابن مقلاش، عبد الرحمن بن محمد, 2009, شرح البردة البوصيرية.

ابن المعتز(دون تاريخ), البديع في البديع لابن المعتز, رفوف.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن، والبرقوقي، عبد الرحمن،التلخيص في علوم البلاغة، 1982، www.Kotobarabia.com.

الشريشي، (دون تاريخ) ، شرح مقامات الحريري، رفوف.